E- ISSN : 2571-9742
DM

هاجس الأمن عند ركب الحجاج المغاربة
من خلال الرحلات الحجية(17م-18م)

د. جلول بن قومار
جامعة غرداية
djelloul66@yahoo.com

الملخص:

من المخاوف والهواجس التي كانت تراود وتؤرق ركب الحجاج المغاربة في مسالكهم الصحراوية نحو حج بيت الله الحرام، هو الأمن والخوف عن النفس والمؤونة، مما يتلقاه ويجده الحجاج من مخاطر في الطريق، كقطاع الطرق، وبعض الأعراب الذين يسلبون الحجاج متاعهم ومؤنهم، ثم التحايل على الحجاج في الأسواق التي يدخلونها للتزود بحاجاتهم من بعض الباعة الذين باعوا آخرتهم بدنياهم، بالإضافة إلى خطر الأوبئة التي تجتاح من حين إلى آخر المناطق التي يمر منها الحجاج، ومنها الطاعون الذي كان يفتك بالآلاف، وهو من الهواجس والمخاوف التي كان الركب يخشاها ويحاول تجنب مناطقه.

الكلمات الدالة:

الحجاج ،الركب، قطاع الطرق، الأعراب، الوباء، الإبل، السرقة، الرحلات.

.Abstract:

The issue of security was a major concern for Maghreb pilgrims in the 17th and 18th century. Pilgrims were being robbed, cut off, attacked, and exposed to frauds in the markets. They were also exposed to Epidemic typhus and political unrest in the areas they pass through or where pirates operate as well.of scientific research during the colonial period.

Key words:

Pilgrims, security, attacked, epidemic,unrest political, typhus.

E- ISSN : 2571-9742
DM

تعتبر الرحلات الحجية أو الحجازية مصدرا تاريخيا هاما، لما تحتويه هذه الرحلات من مشاهد وصور وأخبار تاريخية، واجتماعية، واقتصادية، وسياسية متنوعة، وهي مرآة عاكسة لصور هامة عن الأحوال السائدة في تلك الفترة، والتي أهملتها الكثير من المصادر التاريخية .ولما كان الحج إلى بيت الله الحرام ركن من أركان الإسلام، فإن رحلة الحج بالنسبة للمسلم هي من أهم ما يتمناه ويرجوه في حياته، فيركب لها الأهوال ويتجشم من أجلها الصعاب، والقارئ المتفحص لهذه الرحلات، يقف بلا شك عن المعاناة والصعاب، التي كان الحجاج المغاربة يكابدونها في الطريق أثناء رحلتهم إلى بيت الله الحرام في القرون السابقة، بدءا من تحضير النفقة اللازمة لهذه الرحلة الطويلة، التي تمتد أكثر من عشرة آلاف كلم مشيا على الأقدام، تحمل متاعهم الدواب من جمال وخيل وبغال، قاطعين مدنا وصحراء قاسية موحشة، تهددهم الأخطار من كل جانب، وصولا بعد تعب ونصب شديد إلى بيت الله الحرام.

ولاشك أن ركب الحجاج عند انطلاق الرحلة، تساوره هواجس وهموم، وتحدثه نفسه بأخطار محتملة، تصادفه في رحلته الحجية، ومن هذه الهواجس والأخطار، هو الأمن والأمان على النفس والمتاع والنفقة، حتى يصل سالما لمبتغاه .ومن التساؤلات والإشكالات التي يمكن طرحها في هذا المجال هي:

كيف كان الأمن في الطرق التي يقطعها ركب الحجاج المغاربة؟

ما هي الأخطار التي واجهها الحجاج وهم يقطعون المسافات الطويلة؟

هل الأحوال السياسية السائدة في المناطق التي يمرون بها كانت تعرّض الحجاج للخطر؟

هل انعدام الأمن في الطرق فقط هو من يهدد حياة الحجاج؟

ما الشعور العام السائد عند الناس عند لقائهم ركب الحجاج المغاربة؟

اعتمدت في دراسة هاجس الأمن والأمان عن النفس والمال عند الحجاج المغاربة عن الرحلة العياشية لعبد الله بن محمد العياشي[1] 1661-1663 المجلد الأول، ورحلة المجاجي النظمية في القرن 11ه /17م[2] ،والرحلة الناصرية لأحمد بن محمد بن ناصر الدرعي 1709-1710 [3] ،والرحلة الحجازية لأبي عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي[4] 1152هـ-1737م

1-ركب الحج المغاربة:

تعددت أركب[5] الحجاج المغاربة المتوجهين إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج، وكان أول ركب أسس في المغرب سمي بالركب الصالحي نسبة إلى مؤسسه والداعي إليه الشيخ أبو محمد الصالح

المغربي، وكان هذا الركب يسلك طريق آسفي[6] الحجاز[7] ومن أركب الحج التي كانت في تلك الفترة مايلي:

-ركب الحج الجزائري:

كان الحج ينظم ركبا واحدا في إيالة الجزائر ،ويتشكل من تجمع الحجيج القادمين من جميع نواحي الإيالة، من الغرب والوسط والشرق والصحراء، حيث يلتقون ويتجمعون في مدينة بسكرة ،التي كانت نقطة التقاء الركب الحج الجزائري، ليلتحق به عادة، ركب الحج المغربي، ويتمّ تعيين أمير الركب الجزائري من الباشا نفسه، وقد وُجِد أن الشيخ عبد الكريم الفكون [8]كان أميرا على ركب الحجيج سنة 1048هـ/1638 وتم تعيين ابنه سنة 1072هـ/1664م[9].

-الركب الفاسي:

كان يخرج هذا الركب من مدينة فاس، ويرجع تأسيسه إلى أوائل الدولة المرينية ،وقد اهتم المغاربة بهذا الركب وأعانوه بالإعانات المادية الوفيرة كان يتألف من رئيس ويسمى شيخ الركب أو أمير الركب يختاره السلطان من أكابر الناس وعلية القوم [10].

-الركب السجلماسي:

كان هذا الركب يخرج من سجلماسة [11] ،ويذهب فيه أهل تافيلالت ومن لحق بهم وذكر أبو سالم العياشي أن أمير الركب في حجته كان الشيخ محمد بن محمد الحفيان[12].

-الركب المراكشي:

يخرج هذا الركب من مراكش، ويذهب فيه أهل المدينة ونواحيها، ويعتبر الركب المراكشي هو الركب الرسمي للدولة، والمرجح أنه تأسس مع دولة السعديين، وانتهى بانتهاء دولتهم[13].

-الركب الشنقيطي:

أقدم رحلة حجية مدونة خرجت من بلاد شنقيط، هي رحلة الحاج البشير البرتلي سنة 1789م ،وغالبا ما كان هذا الركب يسلك الطريق من قرية المبروك، إلى توات، ثم الدخول إلى الصحراء الجزائرية تنزرفت، ثم عين صالح، وفزان، ومصر، ثم الحجاز [14].

-الركب البحري:

E- ISSN : 2571-9742
DM

وهم الحجيج الذين يسلكون طريق البحر لأداء فريضة الحج، وحتما كانوا يتعرضون للأخطار خلال القرن 16 و17 و18 بسبب القرصنة والقرصنة المضادة، بين السفن الإسلامية وسفن النصارى.

2-مخاطر ومخاوف ركب الحجاج المغاربة:

تزودنا الرحلات الحجية بكثير من المخاطر والمصاعب التي واجهها ركب الحجاج المغاربة في سبيل أداء فريضة الحج، فقد أشار صاحب الرحلة الحجية المعروفة بالرحلة العامرية للشيخ أبو عبد الله محمد بن الحاج بن منصور العامري، ثم التلمساني، في قصيدته النظمية التي قدم فيها النصائح للحجيج وزوّدهم بالضروريات والحاجات التي يجب عليهم أن يوفروها في هذه الرحلة الطويلة والشاقة، حتى يتمكنوا من الوصول في أمن وأمان إلى بيت الله الحرام، ومن هذه النصائح حتمية التزود بالسلاح، واتخاذ الرفيق الصالح، وعدم التخلف عن الركب أو الابتعاد عنه، حتى لا يتعرضون للهلاك من قطاع الطرق، حيث يقول في نظمه:

واتَّخذ يا لبيبُ آلةَ حرب[15] ربما عرضت لك الأعداءُ
واتخذ للطريق خير رفيقٍ إنّ ذاك لعمري العنقاء[16]
ثم لا تنفرد عن الركبِ لمحا إن ذاك يساق منه البلاء[17]

ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تصوّر، أن الطرق التي يسلكها الحجيج المغاربة لأداء فريضة الحج، هي دائما خطرة تعج بقطاع الطرق، وإنما ذكر الرحالة الكثير من حسن الضيافة، والكرم الحاتمي، ومساعدة ضيوف الرحمان، والتبرك بهم، وتقديم يد العون لهم وتبقى حالات استثنائية، وهواجس أمنية يتعرض لها الحجيج من حين إلى آخر، من بعض قطاع الطرق، والأعراب، الذين ضعف عندهم الوازع الديني، ومن هذه المظاهر نذكر:

أ-سرقة الحجاج:

ذكر الناصري في رحلته الحجية، أنهم نزلوا ظهرا في مكان يسمى أم جران،واستسقى الناس من مائها، لكن هواجس الخوف من المكان بقيت في نفوس الحجيج،لأنهم يعلمون أن المكان معلوم بالسرقة والاختلاس إلاّ من أخذ حذره[18].وعن السرقة خاصة في توزر التونسية، فقد ذكر الناصري ما نصه :

".... أما النهب بالسرقة والاختلاس، فأحفظ مالك وما عليك من جميع الناس في جميع الأماكن، وخصوصا توزر، فإنّها أكثر بلاد الله سرقة وخطفا...فإنهم يسرقون بالليل، ويخطفون بالنهار، قلّ من

E- ISSN : 2571-9742
DM

سلم منهم الحجاج خصوصا المغفلين الذين لا خبرة لهم بأحوالهم، فقد كانوا يتبايعون مع الناس، ويخطفون من أيديهم المبيع ويذهبون به، فقليل من يلحقهم، لكثرة الازدحام فقد غسل الحجاج ثيابهم ونشروها وجلسوا عليها ليحفظونها، فإذا رأى أحدهم غفلة من صاحبها، وثب عليها كالسنور فأختطفها ومرّ هاربا، وقع ذلك كله لكثير من الحجاج...»[19].

وفي مكان يسمى جنزور– هي مدينة ساحلية تقع غرب ليبيا، تبعد حوالي 12 كيلومتر غرب العاصمة الليبية– ذكر الناصري أن السراق هاجموا الحجاج، وأخذوا منهم بعض أموالهم، ومتاعهم، وتمكن الحجيج من إلقاء القبض على أحدهم وأوسعوه ضربا[20]. وفي العقبة تحدث الناصري: أن اللصوص سرقوا للحجيج ست من الإبل، واحد للسيد محمد بن علي الأريزي، واثنان للحاج محمد بن أبي زيان، وواجد للحاج عبد الله المولى، واثنان للبداوي، خطفهم اللصوص في السرح (المرعى) [21].

وكثيرا ما كان الحجيج يستعملون السلاح الناري من أجل الدفاع عن أنفسهم ضد قطاع الطرق، فقد ذكر الناصري ما نصه ...» :ثم منه يوم الثلاثاء، مررنا على نجع أولاد علي والحرابة، وظهرت فيهم مخايل المكر، وأخذ الناس حذرهم منهم، وشمروا لمحاربتهم، وفروا تاركين خيمهم، وحرمهم ،ورمت الناس البنادق...» [22]. ومما ذكره أبو عبد الله محمد الحضيكي في رحلته الحجازية بخصوص تعرض الحجيج للسرقة قرب واد الناموس حيث قال ما نصه ...» : ثم ارتحلنا وقطعنا واديا يقال له وادي الناموس [23]. يكمن فيه السراق، ثم نزلنا واديا آخر يقال له عسران، وأعراب تلك البلاد سراق قطاع طرق ينهبون الحجيج كثيرا ويقطعون عليهم...» [24]. وقد قال أبوسالم العياشي في رحلته الموسومة بـ ماء الموائد أو الرحلة العياشية بشأن سرقة الحجيج ما نصه :"... تمكن الحجاج، الذين يبيتون في الركب ويحرسون الإبل، والأمتعة، من سارق دخل عليهم ليلا في خباء وأوثقوه إلى الصباح، فجاء أصحاب الأمير فعرفوه، وأخذوه، وكان مشهورا بالتلصص عندهم معروفا بالسرقة..» [25].وعندما وصل ركب الحجيج مدينة طرابلس،أظهر العياشي، شدة الخوف التي تنتاب الحجيج عند وصولهم طرابلس، حيث قال ما نصه ...» : وأعرابها[26] أعلم الناس باستعمال الحيل في ذلك ...بيت الحجاج فيها طول ليلهم في ضجيج وعجيج، وصياح ونباح، وإيقاد نار خارج المنازل، وضرب بالمكاحل، ومع ذلك قل ما سلمت لهم ليلة من سرقة شيء..». [27]

ب–غارات بعض الأعراب على الحجاج:

E- ISSN : 2571-9742
DM

لقد سبق وعرفنا المقصود بالأعراب، ولا تطلق صفة الغارة والغدر على عمومها، فقد وجد الحجيج المارين على تلك النواحي من الكرم والخير العميم، ما يعجز المرء عن وصفه،وجاء مدح أولئك بالخير والثناء عند العديد من الرحالة الذين وثقوا رحلات الحج سواء النثرية منها أو النظمية .ذكر الناصري هؤلاء الأعراب وما ألحقوه من أذى بالحجيج بالنص حيث قال :".....ثم بتنا الغيفك..... ثم أعرابا هناك غدروا، بعدما أعطوا مواعيد ومواثيق، أن لا يؤذوا أحد من أهل الركب، خرج بعض من أصحابنا بفرسين للزاوية ليسقيهما ومرت به طائفة من الأعراب النازلين بإزاء "سيدي خالد" فأخذوهما قهرا منه، وجاء مستغيثا، وتعذر الغوث فتبين أنهم حرب بعدما زعموا أنهم سلم..»[28]. ثم وصف أعرابا عند الوصول إلى ليبيا بقوله :"... ليس عندهم من الدين إلا اسمه، لا حرفة لهم بعد تنمية المواشي إلا النهب والغارة، قلما مرّ ركب فسلم من إنشاب الحرب بينهم وبينه، بسبب غدرهم، وفتكهم عند اشتغال الناس بالتسوق معهم وقد وقع ذلك مرارا.» [29]. ولما نزل الركب العقيبة، ذكر الناصري أن أعراب السلالة، أغاروا على إبل الحجيج وهم في صلاة المغرب في الركعة الثانية، واتبعهم الحجيج لرد الإبل، لكنهم استطاعوا الإفلات ببعضها ثم عاودت قبيلة السلالة– وهي تستوطن الإسكندرية– الهجوم على مؤخرة ركب الحجيج لكن لم تسجل في الركب خسائر[30].

وقد ذكر أبو سالم العياشي عن أعراب السلالة وما فعلوه بالحجيج حيث قال ما نصه : «... سنة خمس وخمسين عارضوا (يقصد أعراب السلالة) الركب بين العقبتين، وأمير الحجاج يومئذ "الحاج عمران"، وعزموا على نهبهم، فلما علم الحجاج بذلك نزلوا وباتوا، فلما كان طلوع الشمس، جاؤوا بخيلهم ورجلهم وأحاطوا بالركب، فصبر الحجاج صبر الكرام وقاتلوهم أشد القتال...وقتل الحجاج بعض خيل الأعراب، وجرح كثير من الفريقين».[31].واسترسل الناصري في وصف غارات الأعراب على الحجيج حيث قال ما نصه : " ...وقد شاهدنا ذلك (يقصد الغارات) في قوم كثير من أهل برقة، وإفريقية، والمغرب، ولولا فضل الله على الحجاج ورحمته بهم –بالانتقام ممن رامهم– لتعطلت طريق الحج منذ أزمان، خصوصا حجاج المغاربة، لضعفهم، وقلتهم، وبعد المشقة عليهم...».[32]

أما أبو سالم العياشي فقد ذكر أنهم عندما وصلوا إلى ماء يسمى زيرارة، ذكر بقوله:«... ماء زيرارة حصلت للركب روعة (خوف ورعب)، لخبر أُخبروه، أنّ بإزائهم قوم من العرب، يريدون الإغارة فشمر الناس للقتال، وأخرجوا عدتهم، و هيئوا آلة حربهم، وتبين بعد ذلك أن الخبر لا أصل له... ».[33]

E- ISSN : 2571-9742
DM

وفي طريق العودة ذكر العياشي أنهم عندما وصلوا إلى مكان يسمى الدويسة، قرب أولاد جلال، تحدث عن الأعراب الذين حاولوا اعتراض الركب بثلاثمائة فارس، بسبب الجوع الذي يعانون منه، وأخبرهم أهل البلاد أنهم لا يستطيعون مقاومتهم، وقتالهم وأشاروا عليهم بتغيير مسار الطريق حتى يتفادونهم، أو العودة إلى وادريغ.(34)

ج- تأثير الاضطرابات السياسية على الحجاج:

كثيرا ما كان الحجاج يصادفون في المدن التي يدخلونها أو يمرون بها، اضطرابات سياسية عند أهلها، وقد يقحمون فيها عن قصد أو عن غير قصد، فيؤثر ذلك على الركب ويعرضه للخطر فقد ذكر الناصري في ذلك ما نصه :"...كان وصولنا لطرابلس ظهر يوم الأحد، ونزلنا بإزاء الهنشير لأجل فتنة وقعت بين أهل طرابلس وباشاها "خليل"، كان ظلوما فجورا يقرب الكفرة من الروم على أهل الإسلام، ...ولم يجد مسلكا، فحاصر البلد مع جنده ...ولما حادیناه، ورغب في النزول بإزائه ...وامتنعنا ...وتعرض لنا أهل الساحل بقضهم وقضيضهم، ولما عاينونا، وأيقنوا أنّا لهم سلم، وأنّا وفد الله زوار... ».(35) وفي هذا الصدد يذكر العياشي الصراع السياسي بين أهل وادريغ وسلطان ورقلة، وقدمنعوا أهل واد ريغ الحجاج من الدخول إلى مدينة مكوسا، بعدما اتهموهم أنهم من جند السلطان، وقد قال العياشي في ذلك ما نصه:"...ثم ارتحلنا من وركلا (ورقلة) يوم الاثنين، ونزلنا ببلدة قريبة منها على نصف مرحلة تسمى مكوسا، وهم من طاعة وادي ريغ لا من طاعة واركلا، فلما نزلنا منعوا الحجاج من الدخول واتهموهم أنهم اتفقوا مع سلطان وركلا، على أن يأتي أصحابه في وسط الحجاج، كي يدخلوا الباب خديعة، وزعموا أنّه اتفق معهم (الحجاج) على أن يأخذ هو الأموال، ويأخذ المغاربة البلد يسكنونها ... ».(36)

ويبين العياشي أن السبب الذي جعل أهل واد ريغ يشكون ويتهمون الحجاج، هو أن بعضهم جلسوا عند السلطان وخدموا عنده، وأعطاهم السلاح، فبلغ أهل واد ريغ ذلك فظنوا أن الركب كله متفقون معه على ذلك.(37)

د- خطر الأوبئة على الحجاج:

E- ISSN : 2571-9742
DM

لم يتعرض الحجاج في الأزمنة الماضية لخطر الغارات والسرقة فحسب، وإنما كانوا يخشون التعرض للوباء الفتاك (الطاعون)، الذي كان يضرب الكثير من المناطق، ويقضي على الآلاف، ومن هذه المناطق مصر والتي هي طريق الحجيج نحو بيت الله الحرام.

فقد ذكر الناصري أن الوباء حل ببسكرة حيث قال مانصه:«...لما رجعت من الحجاز في سنة ستين، وجدته قد توفي بالوباء الواقع في تلك السنة، وكان وباء مفرطا، مات به ببسكرة على ما قيل لنا، نحو سبعين ألف نفس... »[38] وأورد الناصري خبرا عن أبي سالم العياشي أن الوباء وقع مرة بمصر، وكثر الموت حتى كان يدفن في اليوم حسب ما زعم أربعين ألف، فقرر الباشا وأتباعه الخروج من مصر والفرار لما شاهده من كثرة الموت[39]. بينما ذكر العياشي أن الحجاج باتوا في خوف وشدة من الوباء، الذي حل بالإسكندرية بمصر، وظل شغلهم الشاغل، حيث قال ما نصه:" ...وأقام الناس بها يوما لسقي الماء، وشرب الإبل، وبات الحجاج ليلتهم وظلوا يومهم يخوضون في أمر الوباء، لما تحققوه في الإسكندرية، وما بإزائها، وفي البحيرة ،ورشيد، وتحير الناس في أمره فمن بين شديد الفزع مظهر الهلع. ... »[40] .

وقد تعرض محمد بن عثمان المكناسي[41] في رحلته الحجية عن طريق البحر سنة 1785م إلى خطر الوباء، الذي كان يهدد حياة الحجاج سواء عن طريق البر أو مسلك البحر فقد صادفه انتشار الوباء في الشام –وهي إحدى طرق ركب الحجيج البحري– حيث قال ما نصه : «... وقد وقع في هذه السنة موت كثير بالشام، في مدة غيبتنا بمكة، فقد حكي أنهم كانوا يدفنون نحو خمسمائة في كل يوم. ... »[42]. وصادف أنه أثناء عودته من الحج زار مدينة الجزائر، ووجد بها الوباء ومما قال:«... وقد وجدنا بهذه المدينة، (ويقصد الجزائر) وأعمالها الطاعون، ومات به خلق كثير ... »[43]

أما المجاجي في رحلته الحجية النظمية، فذكر أن ابنة شيخه الذي لم يذكر اسمه قد توفيت في الطريق، واسمها "عويدة" ولم يوضح سبب وفاتها بعد أن ذكر خصالها الحميدة،وقد حمل الركب جثمانها مسيرة يومين على ما ذكر لتدفن ليلا بمقبرة البقيع والراجح أن الطقس في رحلة المجاجي كان باردا، ومناسبا لحمل جثة المرأة المتوفية مسيرة يومين، دون تتغير رائحتها، وقد حقق الركب أمنية المرأة وهي الوصول إلى بيت الله الحرام وتدفن ليلا في البقيع مع نساء النبي (ص) وفي هذا الصدد قال المجاجي:

E- ISSN : 2571-9742
DM

وثم رحلنا منها ثم نزلنا في مكان يسمى في القديم جريدة
مدينة من مداين الدرب فيها ما يفوته الحجاج وقت الإقامة
هناك توفت بنت شيخ شيوخنا بعين وواو ثم دال وتاؤها
فذال اسمها إذلال قلت عويدة رحلنا بها يومين من بعد نحبها[44]
وسرنا بها نحو الديار الشريفة دفناها ليلا بالبقيع وحولها[45]

كما تعرض المجاجي للمضايقات التي وجدها في البقاع المقدسة، من ركب الحج المصري، حينما ضغط عليهم وأرغمهم على مغادرة البلاد، ولم يذكر لنا سبب ذلك التصرف من الركب المصري حيث قال ما نصه:

واضغطنا المصري حتى خرجنا إذ
على غير وجهة لايق بعجيلة
وربي حسيب من تعدا وجار في
أموره على غير طرق الشريعة[46]

وأثناء العودة من رحلة الحج، وفي منطقة أولاد جلال، ذكر العياشي أن أحد الحجاج من الفلاليين من أولاد الإمام أهل سجلماسة، توفي في الطريق بالوباء(الطاعون)، وقد أشاع بعض الناس أمر الوباء في الركب،فخاف أهل المدينة ومنعوا الحجاج من الدخول إليها، خوف العدوة، وبلغ من الهلع منهم والخوف، أن أصبحوا يبيعون الخضر للحجاج بعد أن يضعوها في دلاء، ويقدمونها للحجاج من فوق الأسوار، ويأخذون المال ولا يلمسونه باليد إلا بعد غسله[47].

لم يكن الحج في القرون الماضية سهل المنال، يسير الكلفة، بل كانت تعتريه صعوبات جمة تعترض الحجاج، ومنها الأمن في الطريق الذي كان يعتبر معضلة كبيرة تهدد الحجاج في نفوسهم وزادهم وإبلهم وخيلهم، إضافة إلى خطورة المسالك الصحراوية، وما تتميز به من صعوبة الطرق، وقساوة الطبيعة، وقلة آبار المياه، والخوف من الضياع والتيهان في الصحراء الواسعة، مما يضطر الركب لكراء الأدلاء لمعرفة المسالك.أما أكثر ما ينتاب ركب الحجاج قديما من مخاوف وهواجس، هو الأمن ولذلك نجده يحتاط لنفسه ويهيئ عدة السلاح، والاستعداد للدفاع، وفي كثير من الأحيان ينشب القتال العنيف بين الركب والمهاجمين من قطاع طرق والأعراب، الذين يتحينون الفرصة لسلب الحجاج ممتلكاتهم

E- ISSN : 2571-9742
DM

وبخاصة أن الركب في كثير من الأحيان به نساء لا يقوين على تلك المشاق، مما يصعب مهمة أمير الركب إضافة إلى التحايل والخداع الذي يتعرض له الحجاج عندما ينزلون المدن للتسوق، والتزود بما يحتاجونه من المؤونة، ثم الاضطرابات والخلافات السياسية، التي كانت كثيرا ما تكون عائقا للحجاج، ويقحمون فيها دون وجه حق، فتتأثر رحلتهم الدينية إلى بيت الله الحرام، وكذلك الخوف من الأوبئة المنتشرة في تلك النواحي، ومنها الطاعون الذي كان يحصد الآلاف من الناس.

ومع ذلك كله نجد، أنّ الناس قديما كانوا يحرصون على أداء فريضة الحج رغم الصعاب والمخاطر، وكان أهل الأمصار التي يمرون بها يرحبون بوفد الرحمان، ويكرمونهم ابتغاء بركتهم باعتبارهم زوار النبي،وضيوف الرحمان، ويحمونهم من كل معتدي، والرحلات الحجية مليئة بصور الكرم التي يتلقاها ركب الحجاج من الناس في طرقهم وأورد واحدة على سبيل المثال لا الحصر،حتى تعطينا صورة على مكانة الحجاج في نفوس الكثير من الناس، ومن ذلك ما أورده الناصري بقوله :

...»ثم نزلنا غربي إجليتين (إصليتين)[48] قرب الغروب، وتلقانا الأخ سيدي "علي بن الصادق" في جماعة من طلبته، وشيعنا وبات معنا، وبالغ في القرى (يقصد الكرم) أحضر تمرا، وشعيرا، (خبزا) ودجاجا ولحما جيّدا، و دلاعا كثّر الله خيره . ... »[49]. ومازال الناس يحجون ويتعجلون الحج، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم:« من أراد الحج، فليتعجل، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الضالة، وتعرض الحاجة... »[50].

الإحالات:

(1)أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن سعيد بن سيدي أبي العباس أحمد بن سعد العياشي ولد في شعبان 1037ه –أفريل 1628 م توفي سنة 1090 هـ–1679م رحالة وفقيه مغربي، هو صاحب الرحلة الشهيرة "ماء الموائد" أو "الرحلة العياشية." يعتبر من أبرز أعلام المغرب والمشرق خلال القرن الحادي عشر الهجري، حيث أسند إليه كرسي التدريس بالمدينة المنورة، كما أسند له كرسي التدريس والإفتاء بفاس، قبل أن يستقر نهائيا في الزاوية العياشية، التي أسسها والده، لكنها اشتهرت في عهده، بعد أن قام بتطوير الزاوية من جديد بناءً وتجديداً، فأصبحت قبلة لطلاب العلم، ومقصدا لأهل الحوائج، ومحجا للفقراء والمريدين الذين يأتون إليها من كل بقاع المغرب، مما جعل الزاوية تحمل اسمه وتنسب إليه ينظر ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي ،تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين ،ط1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت 1999،ص ص376، 377.

(2)هو عبد الرحمان بن مجمد بن الخروب المجاجي لم يعثر له على ترجمة باستثناء ما تحدث عنه بأنه مجاجيا الأصل والمنشأ اختلفت المصادر التاريخية في حياته فالمؤرخ أبو القاسم الحفناوي وعادل نويهض يترجمان له، أنه عاش خلال القرن 13هـ/19م بينما يذكر أبو راس الناصري أنه عاش في القرن 11هـ/17م ينظر آل سيد الشيخ سعاد: رحلة عبد الرحمان بن محمد بن الخروب المجاجي نموذج الرحلة الحجية في مجلة الواحات للبحوث والدراسات ،2014،عدد20،ص ص 201، 215.

E- ISSN : 2571-9742
DM

(3)هو الشيخ الصالح العالم الناصح أبو العباس أحمد بن الإمام الشهير أبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي كان إمام وقته علما وعملا توفي في الثالث عشر ربيع الأول سنة 1128هـ الموافق لـ1715م ،للتوسع أكثر ينظر محمد بن الحاج بن عبد الله الصغير الإفراني:صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر ،تقديم وتحقيق عبد المجيد خيالي،ط1،مركز التراث الثقافي المغربي الدار البيضاء المغرب 2004،ص ص 364، 365.

(4)هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الجزولي المشهور بالحضيكي، أحد أعلام سوس المشاهير ، ولد بها عام 1118 هـ/1706م ، و بها نشأ و درس ، ثم طاف و تجول المغرب للأخذ و التلقي عن فطاحل علماء زمانه قام محمد بن أحمد الحضيكي برحلة إلى المشرق للحج حيث لقى العديد من الشيوخ ، أورد ذكرهم و ما أخذه عنهم في رحلته (الرحلة الحجازية توفي – رحمه الله – في ليلة السبت عند العشاء تاسع عشر من رجب عام 1189 هـ/ 1775م. ينظر الموسوعة الحرة.

(5)ركب أصحاب الإبل في السفر دون الدواب وقال الأخفش هو جمع وهم العشرة فما فوقهم وأرى أن الركب يكون للخيل والإبل ينظر مادة ركب عند محمد بن مكرم بن علي بن منظور: لسان العرب.

(6)آسفي بلدة على شاطئ البحر المحيط بأقصى المغرب، ينظر شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي : معجم البلدان دار صادر بيروت،مج1،ص 180.

(7)محمد المنوني:من حديث الركب المغربي مطبعة المخزن ،تطوان 1953،ص07.

(8)هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن قاسم بن يحي الفكون ولد بقسنطينة سنة 988هـ/1580م من العلماء الكبار، ساهم في تهدئة الأوضاع في ثورة ابن الصخري1047هـ/ 1638م ،التي هزت أركان قسنطينة لسنوات عديدة، وهددت السلطة المركزية، تقلد إمارة ركب الحجيج الجزائري سنة 1047م/ 1638م، للتوسع أكثر ينظر أبو القاسم سعد الله : شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1986،ص ص57، 79، 80.

(9)عن ركب الحجيج الجزائري ينظر فوزية لزغم: البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي 625هـ-1246هـ/1520م-1830،أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية ،جامعة وهران2013-2014، ص ص440، 441، 442.

(10)محمد المنوني: المرجع السابق، ص ص9، 12.

(11)سجلماسة مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان، بينها وبين فاس، عشرة أيام إلى الجنوب في منقطع جبل درن، ينظر شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي: المصدر السابق،مج3،ص 192.

(12)عبد الله محمد العياشي:الرحلة العياشية1661-1663،تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي،ط1،دار السويدي للنشر والتوزيع ،أبو ظبي الإمارات 2006،مج1،ص 57.

(13)محمد المنوني: المرجع السابق، ص 36.

(14)ينظر عمرو عبد العزيز منير وعبد الرحمان بن محمد بعثمان: طريق ركب الحج الشنقيطي من خلال رحلة الحاج البشير بن الحاج أبي بكر بن الطالب عمر البرتلي المتوفي سنة 1214هـ/1800م ، ص ص02، 7، 15.

(15)المقصود به السلاح سواء السيف أو البندقية المعروفة عند العامة بالمكحلة.

(16)العنقاء طائر وهمي لا وجود له إلا في تصور الإنسان وخياله

(17)نقلا عن محمد المنوني: المرجع السابق، ص91.

E- ISSN : 2571-9742
DM

(**18**)أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي: الرحلة الناصرية 1709–1710،تحقيق عبد الحفيظ ملوكي،ط1،دار السويدي للنشر والتوزيع ،الإمارات المتحدة 2011، ص 95.

(**19**)نفسه، ص162.

(**20**)نفسه، ص166.

(**21**)نفسه، ص ص250، 251.

(**22**)نفسه، ص251.

(**23**)واد الناموس بمنطقة بني ونيف غير بعيد عن بشار جنوب غرب الجزائر.

(**24**)ينظر أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي: الرحلة الحجازية ،ضبط وتعليق عبد العالي لمدبر ،ط1،مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث ،الرابطة المحمدية للعلماء الرباط المغرب 2013، ص 86.

(**25**)عبد الله محمد العياشي: المصدر السابق،ج1، ص177

(**26**)هو اسم يطلق في أصل اللغة على سكان البادية و يشمل كل من سكن البادية واستوطنها سواء كان عربياً أم أعجميا وقد استهجن القرآن الكريم تصرفاتهم فقال تعالى:" الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ " سورة التوبة الآية 97.

(**27**)عبد الله محمد العياشي: المصدر السابق،ج1، ص177

(**28**)أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق ، ص 134.

(**29**)نفسه،ص243.

(**30**)نفسه،ص ص252. 253.

(**31**)عبد الله محمد العياشي: المصدر السابق،ج1،ص218.

(**32**)ينظر أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق، ص 254.

(**33**)عبد الله محمد العياشي: المصدر السابق،ج1، ص112.

(**34**)نفسه،ج2،ص544.

(**35**)أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق، ص 167.

(**36**)ينظر عبد الله محمد العياشي: المصدر السابق،ج1، ص119.

(**37**)نفسه، ص119.

(**38**)ينظر أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق، ص 140.

(**39**)نفسه،ص263.

(**40**)ينظر عبد الله محمد العياشي: المصدر السابق،ج1، ص209.

(**41**)هو الفقيه العالم الأثير الصوفي الأديب ولد في أول رمضان سنة ثلاث وستين وألف وتوفي ثاني ربيع الأول سنة ست وأربعين ومائة وألف كان يؤدب الصبيان له تأليف عديدة ينظر ترجمته عند الشريف أبي عبد محمد بن جعفر الكتاني،سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس،تحقيق عبدا لله الكامل وآخرون،دار الثقافة المؤسسة للنشر والتوزيع الدار البيضاء المغرب ،ص ص 337، 338.

E- ISSN : 2571-9742
DM

(**42**)محمد بن عثمان المكناسي:رحلة المكناسي إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب 1785،تحقيق محمد بوكبوط،ط1،دار السويدي للنشر والتوزيع،أبو ظبي 2003،ص284.

(**43**)نفسه ،ص331.

(**44**)النحب الأجل ويقال فلان قضى نحبه :مات قال تعالى: « فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ» سورة الأحزاب الآية 23.

(**45**) ينظر عبد الرحمان بن مجمد بن الخروب المجاجي: حجازية منظومة، مخطوطة بالمكتبة الوطنية الجزائرية ،قام بها سنة 1063ه/ 1652م.

(**46**)عبد الرحمان بن مجمد بن الخروب المجاجي:المصدر السابق.

(**47**)ينظر عبد الله محمد العياشي: المصدر السابق،ج2، ص546.

(**48**)إصليتين منطقة لم أتوصل إلى تحديدها والمرجح أنها في ليبيا لأنهم قد خرجوا من منطقة تسمى عين كعام وهذه موجودة في غرب ليبيا بها نهر صغير.

(**49**)ينظر أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي :المصدر السابق، ص 206.

(**50**)ينظر أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني: السنن، تحقيق ودراسة مركز البحوث وتقنية المعلومات ،ط1،دار التأصيل مدينة نصر، القاهرة ،مصر 2014،أبواب المناسك ،الخروج إلى الحج،مج3،ص143.